(٨)

بين الإنسانية وأصدقائها

(ما اشتكى الانسانية بأعدائها الذين يتظاهرون بأنهم من اصدقائها : يمدونها بفتات الموائد ويالى الثياب . يمنعون عليها بما يقدمونه . وما اتفهه . بينما يسلبونها اعز ذخائرها راغمى هبات ربها لها . من حرية كرامة . وإيمان . وكثيرا مايضعون لها السم فى الدسم ، الداء الوبيل فى العسل ، والويل الناكل الويل من أثرة المتحكمين ، وجشع المتصرفين ، وبغى القادرين . . .

إن موطن العلة فى الجسم البشرى المتورم هنا أيها المصلح من اخلاقنا »

الشرباصى

بين الانسانية وأصدقائها

تحوى الأساطير الهندية كثيرا من الحكم ، يبدوا لنا أن حكماء هذا القطر قد أعربوا عن دقائق الفلسفة فى لغة سهلة وأسلوب جذاب ، وحاولوا نقل الحقائق الجافة الى الحياة العامة ، نحن نستطيع أن نتلقى دروساً قيمة فى الفلسفة والحياة بواسطة هذه الأساطير المتواضعة .

ومن الأساطير والحكايات التى حدثتنا بها فى الصغر الأمهات وعجائز البيت أسطورة امرأة شقية كان جسمها حافلا بالابرات السامة وتوات ضرتها اقتلاع هذه الابرات فاقتلعتها إبرة إبرة وتظاهرت بالشفقة والاخلاص وتركت الإبرات العينين عمداً فبقيت المرأة تتململ من شدة الألم لا ينطبق لها جفن ولا تكتحل بنوم : ونحن بصدد هذا الجزء من الحكاية فحسب .

اذا فكرت فى الانسانية وأصدقائها ودرست أحوالها لوجدت قصتها تشبه قصة المرأة البائسة تمام الشبه قد تمزق جسمها بالابرات السامة التى دخلت فى جميع هيكلها فتمتد أيدى العوث والرحمة اليها لتقتلعها ، ولكنها تغفل العينين اللتين لا يقر قرار الرجل الا بسلامتها فلا يتم خلاصها ولا يهدأ بالها . فتغذو وتروح جريحة الهيكل كليمة الروح مضطربة البال ، ثم تستأنف الجهود من غد وتنقطع من غير أن تكمل مهمتها وتبلغ غايتها .

الانسانية تمثل جسم البشرى فى أعضائه وأجزائه فهى جامعة للنواحى الحيوية بأسرها ، وانها تنتظم الجسم والبطن والرأس والقلب والروح والنسمة ، وتحمل هذه النواحى أنواع من البلاء والشقاء ، وهى ابرات جسمها التى تشهق بها وتتجرع على أيديها مرارة الحرمان والألم .

الفاقة والبؤس وفقدان المواد الغذائية الصالحة هى ابرات البطن والمعدة التى تشقى بها الانسانية وتتعذب ، ومن الشقاء للعالم البشرى . ومن المخجلات المندبات أن لا تجد أغلبية البشر الساحقة ماتسد به فاقتها وتشبع به بطنها لسوء تصرف حفنة من البشر فى توزيع المواد الغذائية أو لسف حكومة جائرة رغم سخ

القدرة الالهية وثروة الحقول الزراعية وأن لاتجد البشرية حاجتها من الطعام والغذاء بعد أن تفيض الحقول زرعا وتدر الأرض لبناً وعسلا .

الانسان جسد مع الروح . والجسد يشعر بالحرارة والبرودة ، فهو دائما فى حاجة إلى الكسوة واللباس وقد أنزل الله لباساً يوارى سوأت الناس وريشا وألهم الانسان كيف يزرع القطن ، وكيف ينسج الثوب ، واشتغلت الأيدى العاملة فى الحقول والمصانع ، فكانت كميات فائضة من القطن والنسائج ، فمن الجور الفاحش والظلم المبين أن يلجىء إسراف بعض الرجال فى الملابس أو احتفاظهم بها فى صناديق ومستودعات كثيراً من الناس إلى العرى ، أو يكسو الأغنياء جدرانهم ، فلا تجد الفقراء من اللباس مايستر جسمهم ويقيهم البرد والحر .

أن المرء يحمل فى جنبه قلبا نابضا له رغبات وعواطف طبيعية لا ضرر فيها ولا اعتداء فلا يجوز أن يقف الانسان سداً فى سبيلها ، وقد وهب عقلا وذكاءً ، فلا يجوز لأحد أن يمنعه عن العلم ويحول بينه وبين التفكير ، فاذا فعل ذلك فرد أو حكومة كان الانصاف الانسان المرهق وتحرير فكره خدمة بارة للانسانية وعملا يستحق الشكر والثناء .

الثقافة لاتزدهر ، والمدنية لاترتقى وقوى الرجل الروحية والمادية لا تنمو ابدا . إذا كانت فى البلاد سلطة مستبدة وحكومة غاشمة ، فترى أن الحكومات الأجنبية والدول المستبدة تستولى على وسائل الحياة وتتولى توزيعها فطوراً تستأثر بها وتارة تقسمها قسمة ضيزى . وأخرى تحول بين الأمة وبين منتجاتها وثمرات كدحها وخزائن أرضها . فتعيش فى ديارها عيش الغرباء أو الصعاليك الطرداء فلا تلبث أن تخمد عواطفها وتجمد قرائحها وتضيع مواهبها فتكون أمة خامدة ضائعة . فلا شك أن الاستعمار والاستبداد عدو لدود للانسانية وظلم عظيم للامة وأن جلائه من بلاد نعمة وسعادة تستحق الأمة عليها كل تهنئة .

إذن فالجوع والعرى والأمية والاستبداد هى الابرات التى لا تفتأ تجرح جسد البشرى وتزلمه ومن الواجب إزالة هذه الآفات وتخليص الأمة منها .

ولكن هل هذه الكرب والآلام هى جل آفات البشرية وهى ابرات جسمها

فحسب ؟ واذا قلعت هذه الابرات اطمئنت القلوب ونعمت الأبدان وقرت العيون وصفا العيش وطاب النوم وزالت الهموم والاكدار ورجع كل شيء الى نصابه ؟

لقد كان الخطب يسيرا جدا لو كان ذلك . ولكن الامر مع الاسف ليس كذلك . والواقع لايؤيده .

ان القوت واللباس والعلم والحرية ليست كل شيء في الحياة وليست دواء كل داء . ان في جسم الانسانية ابرات سامة غير الابرات المذكورة وهي تجرح قلبه وتذيب حشاشته . خذ مجتمعا قد وصل الى كل مطلوب وقضى كل حاجة في نفسه فنال الحرية والاستقلال وجمع بين العلم والاموال واجتمع له كل ما يمكن من أسباب السعادة المادية والهناء هل تراه هادئاً مطمئنا لايشكو ولا يئن ؟

الأمر ليس كذلك كما تعرف جيدا . بل ربما يكون هذا المجتمع السعيد أشد قلقا في اضطرابا وأكثر شكوى وعتابا من غيره فما السر في هذا ؟

سر ذلك أن الانسان قد يظهر في بطنه الطبيعي بطن كاذب وهو بطن الجشع والشح الذي لايزال صائحا مثل جهنم « هل من مزيد ؟ » انه لايعشق المثل لانه قنطرة الى حاجاته أو شهواته — على الاكثر — بل قد يكون غرامه له كغاية ونهاية هنالك لايطفئ غلته أعظم مقدار من المال وأعظم مجموع من الدارهم والدينار بل يركب رأسه في شدة غرامه وولوعه بالمال ويرتكب كل محظور ومنكر لانه قد فقد الحاسة الخلقية وحرم الضمير والعقل وجن بالمال جنونا . وأحقر مظاهر هذه النفسية والطبيعة الغربية السوق السوداء والارتشاء الرخيص وابتزاز الاموال من كل وسيلة وطريق .

اذا درسنا تاريخ العالم الخلقي درساً عميقا وفحصنا في أسباب الفوضى الاجتماعية والانحلال الخلقي فحصا دقيقا وفكرنا في رؤس المسائل والمشاكل التي تواجه الحياة القومية والاجتماعية اليوم وجدنا أنها لاترجع الى الضرورات والحاجات الطبيعية في غالب الاحوال بل الى الرغبات الباطلة والحاجات الكاذبة والشهوات المصطنعة في الغالب وهذه الشهوات التي تغري صاحبها بالمحظورات والجنايات

وتتولد منها أزمات طريفة ومشاكل معقده فى الحياة المدنية وفى كل نظام حكومى وتحث على الاعتداءات والتدليسات والخيانات والسفه والارتشاء والمقامرة والاكتناز والاحتكار والخداع وتتورط لاجلها أعظم الدول والامم فى الفوضوية واللادستورية .

لو بحث فى الأزمات والمشاكل لاقتنعت بأن تعسر مطالب أغلبية ساحقة وكثرة الجياع العراة فى بلاد ليست هى علة الاضطراب واختلال الحياة الاجتماعية إن هؤلاء الجياع والعراة لم يضيقوا على الناس ولم ينغصوا عيش أحد فى القطر اولئك هم الطاعمون الكاسون الذين لا تشبع أنفسهم بالقناطير من الذهب والفضة ولا تقطع رغباتهم هم الذين ملأوا الدنيا فسادا واضطرابا . ان قائمة الحوائج الصادقة ليست بطويلة جدا كما يتوهم بعض الناس وكما يغالط أكثرهم ولكن قائمة الحوائج الكاذبة لاحد لها ولا نهاية وهى تستوفى الازدياد والتضخم على مر الايام والليالى وقد تتضخم حتى لا تكفى لرجل واحد ثروة هائلة . ثروة حارة بل ثروة مدينة بأسرها بل وزيادة .

لماذا هذا الغلاء الفاحش واختفاء الأشياء والتضخم النقدى ؟ الآن اغلبية البلاد جائعة عارية ؟ لا بل لأن شهوة المادة قد طغت وتخطت كل حد ، وبلغ غرام الثراء حد الوله والجنون ، وانمحت القناعة من الحياة ، وتسرب الصلف والرياء وحب الجاه والزينة فى جسم المدنية فأحال الحياة الى الشقاء وصير الدنيا دار للعذاب والبلاء فنواجه فى كل منعطف ومنعرج ارتشاءاً مسرفا وسوقا سوداء وأرباحا جائرة .

لكن هل ترتكب هذه المحظورات لأن الجوع أو العرى قد جاوز حده ؟ لا ! إنها أعمال طبقه فضلت أقواتها وملابسها عن حاجاتها ، واجتمع عندها من الكماليات وفضول الحياة وأدوات الزينة والفخار شىء كثير . إنك لا تجد فى هذه السوق السوداء فقيراً لا يملك قوت يومه ولباس جسمه ألا إنها لا فاعيل اصحاب اليسار والاموال الذين قد حيزت لهم الدنيا بأطرافها وحذافيرها ، ثم لا رادع لهم عن الخيانة واختلاس أموال الناس .

إن حاجات الانسان الطبعية الصادقة خطبها يسير وإنه اسهل أن يجد كل إنسان فى بلاد مايشبعه ويكسوه وكل مايحتاج اليه فى حياته ، ولكن هل تستطيع دولة من الدول الكبيره أو شريعة من الشرائع العادلة أن ترضى حفنة من السكان فى حاجاتهم الكاذبة ورغباتهم الباطلة ؟ وهل تقدر أن تشبع بطنا واحداً يشكو الجوع الكاذب والذى لا يشبع وان أكل رزق الناس اجمعين !

فاذا كانت المسألة مسألة ارغبات المختلقة لا الرغبات الصحيحة ، واذا كانت العلة الاشتهاء الصادق فهل تقدر فلسفة اقتصادية اونظام معاشى قد تكفل الطعام واللباس فقط ولا يتعرض للضمير الانسانى ولايغير نفسية المجتمع وطبيعته والذى يشعل الحس المادى ولا يعدله . أن يحمل مجتمعا واحدا على الرضاء والقناعة وهدوء البال ؟ وهل تستطيع كذلك أن يطلق سراح الحياة من الأزمات الراهنة بعد أن أخذت بالخناق وأناخت على المدنية بكلا كلها .

ان الارتشا والسرق السوداء والغلو فى الارباح والجنايات ليست الا نتيجة نفسية تدين بعبادة المال والتفانى فى سبيله ، ولن يقف هذا الفساد عند حد اذا لم تتغير هذه النفسية ، بل اذا سد باب فى وجه فساد تفتح له عشرة أبواب على مصاريعها ، لان الذهن البشرى له نوافذ وأبواب كثيرة ، كلما سد منه منخر جاش منخر .

ان علة المدنية الحاضر وداءها العضال أنها دست سموم الأثرة والشح وعبادة النفس فى شرايين المجتمع وعروقه ، فاصبح ضميره لا يؤمن الا بالفائدة الشخصية والنفع العاجل فيرتكب أكبر رجل فى هذا المجتمع أشنع جريمة ، فإذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا حكم جار ، واذا كان وزيرا آثر ذوى قرابته وأعاد نفسه وعشيرته أصدقائه وأضر بأمته وحكومته ، واذا كان موظفا ماطل وتساهل وأبطأ فى العمل حتى يرضخ له شىء من الدرهمات فينشط ويخف للعمل ، واذا كان ممثلا فى مجلس أو عضواً فى هيئة لم يمثل الا شخصه ومصالحه ولم يفكر الا فى فائدته فيوقع لأجله بلاده وشعبه فى خسارة فادحة ، اذا كان تاجراً أقام السوق السوداء على قدم وساق ، وارتكب لزيادة ثروته وتضخيم ماله كل ما تأباه الفضيلة والمروءة

ويمنعه القانون ، فيجوع لأجله ألوف من الرجال ولا يبالى ، وقد يرى الناس فيلقى على مئات من الفقراء أثقالا من الديون الفادحة ، فيحتاجون الى مليم واحد وقرص واحد ولا يجـــدون اليه سبيلا .

وغلب شيطان الأثرة على الدول والأحزاب بعد ان كان مستوليا على الأفراد والرجال فالأحزاب السياسية ممتحة فى الأثرة والعصبية الحزبية .أما الجمهوريات الأوربية والأمريكية فقد جرت منها الاثرة مجرى الروح ، فتدوس الدويلات الصغيرة بقدمها وتمتهن حريتها وكرامتها وتحرمها متعة الحياة وتجعلها لها مستعمرات وأسواقا لبضائعها وصنائعها ، فحولت هذه الأثرة العالم كله الى متجر او كسور حداد ، لاترى فيه الا تعاطيا فى الدرهم والدينار او سحائب من النار والشرار . والأرض كلها الى ساحة حرب واسعة وقـــد اسهتان أصحابها فى سبيل منافعهم بالعهود والذمم ؛ واستلحوا اشنع جريمة واكبر جناية ، اذا اقتضت ذلك ظروف واحوال . فيقتل ألوف من البشر بأمرها ، وتسيطر دولة على دولة أخرى ضعيفة بأسماء مختلفة وعلل واهية وتباع أمة لأمة أخرى بثمن بخس دراهم معدودة كالضأن والغنم ، وتنقل من يد كالرفيق والجمال ، وتقطع بلاد موحدة — يجمع بينها الدين واللغة والحضارة والقومية — قطعا كالثوب ، هذه الأثرة القومية الاوربية التى أهاجت العرب ضد الاتراك — وكلهم مسلمون ، فلما أتموا دورهم فى الحرب الكبرى وكتبوا سطور نصر الحلفا بدمائهم أشاحوا عنهم وتناسوهم واقتسموا بلادهم كالمال السائب او تراث ميت ، حتى لهذا أرهقتهم الاحوال واضطرا إلى منح الاستقلال اقاموا فى سوريا الصغيرة اربع دويلات مستقلة ثم زينوا لليهود « الوطن القومى » والهموهم تأسيس دولة مستقلة وقدموا لهم كل مساعدة ، حتى اصبح وطن اليهود امرا واقعا وقامت دولة إسرائيل تصادمت مصالحهم واهواءهم وتضاربت الاثرة بالاثرة،وما مسألة فلسطين اليوم،وما تعقدها والتواؤها الا نتيجة اثرة بريطانيا وامريكا وروسيا القومية ونتيجة تنافسها فى استغلال الشعوب ومنابع ثروتها والسيطرة على الشرق الادنى ؛ كذلك حدث فى الهند . فد استغلتها بريطانيا وحلبت ضرعها قرنا ، فلما اخذت بالجد والجأتها الاحوال الدولية إلى ان تمنح الهند الاستقلال عاملت هذه البلاد التى عاشت عليها

دهراً شر معاملة ، فأشعلتها نارا على أهلها ولم تغادرها حتى جعلتها مذبحا يقتل فيه ابعضهم بعضا ؛ ولم يكن ماصدر من اهل الهند سنة ١٩٤٧ عام الاستقلال الا بالهام لاجنبي وتدبيره الخفي ونتيجة الاثرة والتربية الخلقية التي نشأ عليها ابناء هذه البلاد قرنا كاملا في ظل الانجليز التي اخذتهم بها السياسة الانجليزية والفلسفة الاوربية والنزعة الجنسية التي جاء بها الاوربيون .

ثم تلك الاثرة الجاهلية قد بعثت في العالم كله وفي نواحي البلاد كلها طبيعة المطالبة بالحقوق والتهاون بالواجبات ، فقام كل واحد في المدينة يطلب ماله على غيره ولا يؤدي ماعليه لغيره ونشأ الناس ومردوا على التطفيف ،اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، فأحدثت هذه العقلية الغربية في جميع الارض نزاعا بين الافراد وعراكا بين الاحزاب وجدالا بين الطبقات وصراعا بين الجماهير والحكومات . وظهرت ثورة عنيفة في العمال والتجار والفلاحين والموظفين ضد الحكومات ، وعمت الاضرابات والتهديدات والاضطرابات في المدن . وكل يبالغ في حقه ويحني في المسألة ويتغافل عن واجبه ويخون في وظيفته ؛ حتى صارت الحياة سلسلة من مطالبات ومصارعات واصبحت الحياة حبلا ممدودا يتجاذبه الفريقان من طرفيه

مهما بالغنا في ذم هذه الاثرة والتذمر منها وتوجيه اللوم الى هذه المدنية وقادتها ، فان سبب هذه الاثرة الجارفة والمدنية الشقية بأهلها واضح جلي ، فاذا كان الاعتقاد السائد انه لا حياة بعد هذه الحياه الفانية ولا نعيم بعد هذا النعيم الزائل والعهد الراحل ؛ واذا كان ادبنا وفلسفتنا وبيئتنا كلها لاتحدثنا الا عن المادة وحدها وتخضع لاصحابها خضوع الذليل المستكين وتتغنى بمجدهم وتحث على اقتفاء اثرهم وتقليدهم في الحياة ؛ وتنكر كل حقيقة دينية وخلقية ، واذا ماتت فكرة الحياة بعد الممات واذا تركت القيم الخلقية والحقائق الفاضلة ميدانها للقيم المادية الجسدية ؛ واذا تضخم الجسم والبطن على حساب القلب والضمير حتى وسعا الحياة كلها وحجبا الحقائق الخلقية والمعاني الروحية فكيف لا يصير الرجل في هذا المحيط ماديا محضا وكيف يؤخر ربح حياته الحاضره وثمراتها للغد الموهوم وكيف يستبقي ويدخر لذته وهناءه للاخرة التي لايؤمن بها ؟ انه اذا لم يؤمن

بالعزيز الجبار العليم الخبير الديان المهيمن الرقيب الذى هو مالك يوم الدين والذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ؛ فكيف يتردد فى استخدام الوسائل التى تهيء له عيشا رغيدا وجاها عريضا ومالا ممدودا .

ولما حصرت الفلسفة السياسية المادية حياة الانسان فى القومية والوطنية واستخفت بكل من يعطف على بنى آدم عامة ويواسيهم وكل من يؤمن بالحياة الآخرة الخالدة وكل من يحب الانسانية ولا يتقيد بوطن أو جنس ، أصبح الانسان ـ اذا ارتفع عن الاثرة الشخصية والمنافع الفردية ـ لا يفكر الا فى مصالح وطنه ومنافع شعبه . قد تصل به هذه الوطنية والقومية الى الاحتلال والاستعمار والقسوة والهمجية ، فيرى من واجبه الوطنى والقومى المقدس ومن وفائه لامته وتفانيه فى سبيلها أن يؤسس دولة أمة على أنقاض دولة امة أخرى وعلى أشلائها وهذه هى الوطنية التى حدت بأوربا المتمدنة الى استعمال كل قسوة وحشية فى توسيع ممالكها وإخضاع الامم والشعوب لدولها وسياستها حتى انتهى بها ذلك إلى استعمال المدمرات والغازات السامة والقاء القنابل الذرية فى الاخير واختراع (Hydrogen Bomb) وأشد منها أيضا .

هذه الأثر بمعناها الواسع هى آفة المدنية الحاضرة وجائحة زرعها فما دامت هذه الأثرة روح الإجتماعية والسياسية وأساس المدنية والاخلاق فلا تفيد التنظيمات والإصلاحات والمشاريع الإقتصادية والعمرانية الجديدة ، ولا تغنى شيئا ، واذا كانت الأثرة متغلغلة فى احشاء المجتمع جارية مجرى الروح هى التى تملى على الناس سياستهم وسلوكهم ، واذا كان الأفراد فى امة يتنافسون فى الشهوات ويتهافتون على اللذات ويتطاولون فى القصور والناطحات للسحاب ويتسابقون فى اقتناء افخر السيارات ويتسابقون فى اسباب الترف والرخاء ومظاهر العظمة والثراء ، واذا كانت قائمة الحاجات المختلفة والرغبات المصطنعة تتضخم كل يوم ، لم يفد تلك الأمة غناها ووسائلها وتنظيمها الإقتصادى ، ولم تكفها مواردها ومنابع ثروتها مهما كانت واسعة ضخمة ، ولا يفيدها أن تمطر السماء ذهبا وتلفظ الارض خزائنها من مناجم الذهب ومنابع البترول ـ فان كل ذلك لا يفى بحاجاتها المتنوعة المتعددة ولا فقرها ولا يكسو عراتها ، فترى فيها على ثروتها الهائلة واموالها الطائلة فوجا من الفقراء لا يجدون من الطعام ما يقيم صلبهم ومن اللباس ما يكسو

عورتهم ، اهذا الجوع القاتل والعرى الفاضح الذى ترى مناظره المخجلة على الشوارع العامرة بالقصور المزدحمة بالسيارات لفقر البلاد وضيق مواردها وقلة وسائلها ؟ اذا فمن اين هذه الباطحات للسحاب من القصور والمباريات للربح من السيارات؟ ولماذا هذه الجولات إلى عواصم أوربا وأمريكا ؟ لا والله ليس ذلك إلا لهذه الأثرة — قاتلها الله — التى حالت بين الفقراء وبين حظهم من العيش وحقهم من الحياة والتى ابتلعت موارد البلاد وأموالها فلم تترك للفقراء ولا للبلاد شيئا .

لقد أصبح المجتمع الانسانى اليوم جسما متورما يستسمنه الجاهل ، وما هو بسمين ، إنما هو ورم غير طبعى ، فقد بلغ شأوا بعيدا فى الزخارف والكماليات وضخامة الميزا

وقلت الأمية وشاع العلم فى كثير من الأقطار ، وتساوى الناس فى المعيشة أسبابها فى بعض الاقطار أيضا — كما يقولون — ولكن الواقع أن هذه الدوحة التى تراها قائمة — دوحة المدنية والمجتمع الانسانى — قد أصابتها دودة أكلت كبدها ونخرتها ، فهى متآكلة جوفاء ، وهذه الدودة الخبيثة هى الاثر التى تزين للانسان الظلم وتحمله على الاعتداء ، فاذا بقيت هذه الدودة تأكل كبد المجتمع وتنخر جسمه حبطت الجهود الاصلاحية ، وضاعت المشروعات الاقتصادية ، وما دامت هذه الدودة تفعل فعلها فلا تنفع الأمة « الاشتراكية » و « الشيوعية » ولا تؤثر فى الحياة تأثيرا كبيرا ، لان أمة نشأت على الاثرة وحب المال المفرط وحب الحياة الزائد ، لا تمتنع من الظلم والاعتداء لاجل تنظيمات اقتصادية وعقوبات مدنيه ، فان هنا ميادين غير ميدان الاقتصاد يستطيع المرء فيها أن يظلم أخاه ويغتصب حقه وإذا لم يستطيع ذلك فانه يقدر أن يؤذيه ويعاكسه على الأقل ؛ فلا طريق الى العدل والسلام والهناء الكامل الا أن تقتلع جرثومة الأثرة والشح والاعتداء من قلوب الناس وعقولهم ، وذلك لا يقدر عليه الا الدين المسيطر على الروح والقلب ، الدين الذى يحث على الاقتصاد فى المعيشة والزهد فى الدنيا ، ويمنع الانسان من الاسترسال فى الآمال والأمانى والانهماك فى اللذات والشهوات والاسراف فى الاكل

والشرب ، ويحض على الايثار على النفس مع الخصاصة واتفاق العفو من المال. ويحض على طعام المسكين ، والحدب على اليتيم ، وينعى على الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ، ويأكلون التراث أكلا لما، ويحبون المال حبا جما ؛ ذلك هو الدين الكامل العادل الذى ينقذ الإنسانية من كل بلاء ، ويقيم عوجها ، ويرتق فتقها ، ويأسو جراحها .

ان الشعوب أو البلاد التى استقلت فى آسيا فى الزمن الاخير ، لاتزال معرضة عن حقيقة ناصعة ، وهى أن رفاهة البلاد وسعادة الشعب ليست من كثرة الوسائل والآلات واكتشاف موارد المال ومنابع الثروة وازدهار الصناعة والزراعة وكثرة المصانع وتقليد أوربا وأمريكا فى تنظيماتها وان كان لابد من ذلك، ولكن الرفاهة الحقيقية فى صحة المقاصد والغايات وحسن استعمال الوسائل والآلات وفى اعتدال الحياة وقلة الحاجات وحب العدل والمواسات . وأن يحصل هذا من طريق الآلات والماكينات ومن طريق التنظيمات الاقتصادية والنظم السياسية ، ولكن من طريق التربية الدينية وبتأثير الدين الصحيح ، والتعليم الصحيح . ولئن كانت الوسائل والآلات والتنظيمات ضامنة برفاهة البلاد وسعادة الامة وهدوء بالها لكانت أوربا وأمريكا وروسيا أرفه بلاد الله ، وأطيبها عيشا وأقلها كدرا وأنعمها بالا ، وأرضاها بالحياة ، وأبعدها من القلق والاضطراب ، والشكوى والعتاب ، ولكانت جنة فى الارض لاخوف فيها ولا حزن ، ولكن الامر بالعكس ؛ فمشاكل هذه البلاد وأزماتها وصراع الاحزاب والنزعات بينها، وتذمر الناس من حياتهم وعدم رضاهم عن مدنيتهم ، وبحثهم عن هدوء البال وسكينة القلب. حتى فى الشرق وأديانه أمر معلوم ،

إنا لانتكر الفضل للايدى التى تحاول إراحة البشرية المعذبة واسعافها بازالة تلك الابرات عن جسمها : ولكن لاسبيل إلى الطمأنينة الدائمة والسكينة التامة إلا بقلع ابرات العيون ، ان الحصول على الحرية والاستقلال عمل جليل وهدف سام جدا ، والجهاد فى سبيل مكافحة الفقر والجوع والعرى والامية والجهل . وإلغاء المظالم والاعتداءات الاقتصادية والاجتماعية ، والحصول على وسائل الحياة حسنات.

لاتنسى . وإياك ايضا، لاتنكر . ولكن الانسانية أوسع من هذا . وان الانسان أكثر من المعدة والبطن والجسد والعقل . ان فى جسده مضغة لو صلحت صلح الجسد كله ولو فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب . فالمهم الاهم هو صلاحه وهدؤه واعتدالة وحياته . فهل فكر المفكرون فى هذا ؟ وهل وجدوا اليه سبيلا؟

قد تسابقت أيدى الانسانية الرفيقة لقلع ابرات الجسد . وقد عنيت بابرات البطن والمعدة فاقتلعتها وأراحت الانسانية منها . ولكنها ما فطنت لابرات العيون التى هى أصل البلاء وبذرة الشقاء . والانسانية تئن انين الثكلى وتهتف بابنائها وانصارها وتنادى : الى يا أبنائى البررة . اسعفونى وخلصونى من العذاب الذى أتجرعه ولا أكاد اسيغه . ويأتينى الموت من كل مكان . وما أنا بميت . وأريحونى من وجع الفؤاد وألم العين الذى شرد نومى وأقلق بالى . وأمسحوا ما بى من علة حتى أعيش قرير العين ناعم البال مطمئنا .

فهل من مجيب ؟! .